من الذين خدموا منهم باعتناء واخلاص فى الوطن المستشفيات بها كل شيء مطلوب والحال طبعا فى الميدان ليس مثله فى الاوطان وان الممرضين فى الميدان كانوا قليلين جداً حتى ان كل واحد منهم يخدم مائة من الجرحى الذين كانوا معرضين للنار الحامية نهاراً وللمطر والندى ليلا بدون غطاء وكانت الجرحى أحيانا بعد ما ترقد مدة فى الميدان تصير فى حالة لا يمكن وصفها فكانوا يجبرون على أن يغمروا فى جدول من الماء ويمسحوا بالفرشة قبل تضميد جراحهم وانما نتجت هذه الفظائع من خسائر المواقع الحربية الجسيمة أما هؤلاء الممرضون فكانوا يعتنون بالمرضى كثيرا ويرسلونهم بسرعة الى الخلف كى يعالجوا ويرجعوا الى صفوف المحاربين فى أقرب وقت وقد اجتمع الف جريح فى مستشفى معد لمائتين فقط ولذا كانوا غير قادرين أن يؤدوا واجباتهم أكثر مما صنعوه نحو هؤلاء الجرحى

الفصل الحادى والعشرون

بعد النصر

لما وقعت استحكامات (تايوشان) فى أيدى اليابانيين رغما عن منعتها الطبيعية وتحقق الروسيون اننا عدو لا يستهان به وكان خط الدفاع الاصلى خلفهم لم يفقدوا شجاعتهم بهزيمتين أو ثلاثة وتقهقروا الى ارتفاعات (كانتا شان) لعمل استحكامات جديدة هناك دفاعية محاولين أن يدافعوا مرة ثالثة وحين كانوا يسرعون فى انشاء الاستحكامات كنا نحن نريد

أن نسرع فى مهاجمتهم فيوم واحد نتاخره يكسبهم فائدة أيام كثيرة وبدلا من أن نستريح من بعد الاتعاب الطويلة اقتفينا أثرهم لنسوقهم الى الاستحكام الاصلى قبل أن يحصنوا موقعهم ولقد مضى اليوم التاسع والعشرون فى تتميم بعض الذخيرة وترتيب البلوكات والصفوف واستكشاف سوارى العدو وتعين اليوم الثلاثون لمسير جميع قواتنا فى آن واحد وفى الساعة ٣ صباحا تقريبا أمرت رياسة اللواء الميرالاى بارسال تعليمات حالا فتعينت فى هذه الخدمة فجربت وصحبتى مراسلتى نحو الاربعة أميال بجانب النهر ولحقت رياسة اللواء قبل الساعه ٤ بقليل وان لم نرجع سريعا لم يمكن لآلاينا أن يلحق القتال فى الزمن المعين ولذا قلعت جميع ثيابى وسلمتها للمراسلة وجريت الاربعة أميال وأنا عار من كل لباس فقط طبنجتى فى يد وسيفى فى الاخرى وكان ذلك فى الظلام وكنت منتبها جدا لكيلا أضل الطريق ولحسن حظى لم أغلط فى الطريق أو أعمل أى غلطة أخرى فوصلت الى معسكرنا فى الساعة ٥ الا ١٠ دقائق فأمرنا بالاجتماع فى الحال والهجوم أيضا. أما المراسلة الذى سلمته حوائجى فانه لم يحضر لذلك الحين فكنت غير قادر على المسير بهذه الحالة فواجبى الاول نفذته على ما يرام بدون ملابس ولكن واجبى الثانى وهو السير بتطلب ثيابى ولذا أرسلت مراسلة آخر للبحث عن الاول ولكن تأخر الثانى أيضا وقد حان الوقت للابتداء فى السير فارتبكت حالى ولكن فى آخر لحظة وصل المراسلة حاملا ثيابى ولو لم يحضر لامتنعت بدخولى الميدان عاريا بين رفاقى وبعدها ابتدأ أجمل تقدم وهجوم حسب تصميمنا من قبل وهى أن تكون محاربة فى ميدان مفتوح منظم أعنى ان الخط

الاول من المحاربين يتقدم باستمرار ويتبعه الامداد ورتب الجميع كما لو كانت مناورة فى وقت السلم وحركة كهذه مستحيلة بالمرة عند مهاجمة الاستحكام اذ يلزم التقوية التدريجية من الامداد على حسب الزمن وحالة الارض فى كل نقطة

والى هذا الوقت كنا نهاجم مواقع ذات تلول صخرية أما غرضنا الوحيد هنا هو الاقتراب على قدر الامكان من العدو حتى يمكننا انتهاز الفرصة لمهاجمة قواه يدا واحدة وعند ترتيب الهجوم لا يمكننا أن نتبع بالضبط البنود النظامية الموجودة بكتب القانون العسكرى . وبعد ما ترك جيشنا (تايوشان) خلفه لغاية تل (تا كوشان) كانت الارض سهلة جداً ومن هنا كان من الجائز حصول موقعتنا الاولى فى ميدان مفتوح وكان سرورنا عظيما جداً وقد استفدنا كثيرا حينما كان عدونا متأخراً فى تجهيزاته وعملنا هجوما فجائيا ومع أن الروسيين عملوا بعض مقاومة عنيفة الا أنهم اجبروا على التقهقر وكان بلوكان من آلاينا بالامداد والباقى كان يخط النار يريدون أن يحيطوا بالعدو تدريجياً يحاربونه فى الجناحين وكانت نتيجة ذلك أنه عند ما انهزم الوسط قطع الى نصفين ثم اضطر على التقهقر ومن قبل الوصول الى موقعنا النهائى كنت أجرى فى غيط ذرة حاملا أعلام الآلاى فمررت بقرب البكباشى (اوشينو) الذى كانت عيناه الحادتين تبرقان كشعلتين من نار وهو واقف على صخرة متكئا على حسامه فكنت معه فى مكتب آلايه لما كنا بوطننا وكنت أميل كثيرا لطباعه نظرا لآرائه السديدة فى فن الحرب وروح بسالته التى لا تقهر وتصرفه المخلص الشريف كان يزيدنى اعجابا به وهو الرجل الذى كتب جواب الوداع

ذاك الى ميرالايا في وسط هجومنا على (تايوشان) وبعدها اقتحم صفوف العدو فى ركن التل الشمالى الشرقى مع بلوكين من جنوده ففتح طريقا للفرق الاخرى لمهاجمة العدو ولم أر هذا البطل منذ الحين فلما قابلته فى غيط الذرة شعرت كما انى رأيته وهو يحارب فعلا بهذه الطريقة الباسلة فلم يمكنى أن أخفى احساسى واعجابى واحترامى فصحت «بكباشى أوشينو!» فنظر الى نظرة مع كلمة التشجيع هذه «زد شرف أعلامك!» فحنيت رأسى اعترافا وشكراً.

ولما كان الوقت لايسمح بالتكلم زيادة تفارقنا وأنا أفكر فى شخصه الكريم.

وفى هذا الوقت كان العدو يتقهقر أمامنا تدريجيا تاركا آخر خط مدافعته قرب (لونجتو) راجعا نحو (تاكوشان) وكان وقتنا هذا مناسبا لمطاردتهم. حقا ان مطاردة العدو الهارب عمل جميل وخصوصا عند اطلاق النار على ظهورهم فيقعون كاوراق الشجر فى ريح الخريف وهذه الداعية الظريفة أتت كالمادة بعد معركة عنيفة كانت خسائرنا فيها طفيفة وهى نحو الثلاثين رجلا فقط فى مدة اليوم كله فهذا الصيد السار بعد محاربة سهلة مثل هذه لايمكن أن ننتظره مرة أخرى وفى ظهر ذاك اليوم كان جيشنا ممتلكا جميع الموقع الذى كنا نراه من قبل وعليه امتد خطنا من ارتفاعات (توشنجتون) فى الشمال الى الارتفاعات التى بشرق (تاكوشان) فى الجنوب فما أحلى المنظر لذى كان أمامنا عند وقوفنا على هذا الخط الجديد الذى ملكناه وبايدينا نظارات الميدان!

ومن هنا ترى لاول مرة خط استحكامات بورت ارثور الاصلى وكانت الخنادق والمعاقل ترى مبتدئة من (شيكونشان) فى الجنوب ممتدة الى الشمال

لآخر منتهى النظر على جميع هـذه المنطقة مطلة منها رؤوس كأنها رؤوس الشياطين وتلك هى المدافع الثقيلة (أى الكبيرة) وكان يرى فى كل مكان ثمانية أو عشرة ثنيات من السلوك مشتبكة ببعضها ظاهرة قليلا من خلال الضباب وكنا نرى كشافة العدو أو نقط داوريانه فى عدة جهات وكان جماعات جنود مركبة كل منها من عشرين أو ثلاثين يشتغلون فى وضع عراقيل السلوك وهذا كان المرسح الذى عمل فيه التفصيل النهائى هـذا المرسح الذى تتجه اليه أعين العالم بأسره وكنا نحن الممثلين عليه فلا يمكن ان ننساه حتى فى النوم فالذين ماتوا من قبل وهم يصيحون « بورت ارثورا أو الثار ! » كيف يكون مقدار سرورهم الغير متناهى لو عاشوا ورأوا هذا المنظر المنعش للقلب . وفى هذا اليوم وقفنا بقرب (لونجتو) وابتدأنا فى عمل استحكامات قوية على طول ارتفاعات (كانتوشان) وذلك لاطلاق قنابلنا على (تا كوشان) و (هسيا كوشان) وأخذهما وهما امام جناح العدو اليمين لجعل هـذين التلين فيما بعد كقاعدة للهجوم العام على خط الدفاع الاصلى وهو (بورت ارثور) ويلزمنى أن أذكر هنا بكل احترام ان جلالة المشير القائد (الميكادو) ارسل الرسالة (الامبراطورية) الآتية بخصوص الموقعة التى حصلت من يوم ٢٦ الى ٣٠ يوليو التى تشرف بقراءتها أخضع عبيده مثلى وهى

« ان الجيش المنعزل اليابانى المحاصر قاوم استحكامات مواقع (بورت ارثور) الطبيعية الامامية وبعد محاربة عدة أيام شديدة ساق العدو أخيرا الى داخل خط دفاع (بورت ارثور) الاصلى فنحن نشكركم من صميم فؤادنا

لبسالتكم »

فارسل قائد الجيش الثالث (نوجى) الرد الآتى « لقد سمحت جلالتكم بارسال رساله خصوصية لاجل انتصارنا فى الموقعه المعهدة للهجوم على قلاع (بورت ارثور) أما نحن خدام جلالتكم فننتظر أن نبذل كل جهدنا لتتميم غرض جلالتكم بدون خيبة ونحن خاضعون بكل احترام » وأرسلت جلالة الامبراطورة الرسالة الآتيـة « أن جلالتهـا علمت بانتصار الجيش المحاصر المعزل تحت خطرات قلاع (بورت ارثور) وانه نجح نجاحا باهراً فى المعارك الاخيرة فجلالتها ممنونة جداً لامانة وشجاعة ضباط وجنود الجيش » « فرد أيضا قائدنا على هذه الرسالة اللطيفة . ولو أن خـدامهم الخاضعين لا يستحقوا أدنى تعطف خصوصى فان هذا الحنو الوالدى الذى أظهره جلالتهما نرى أنه من الصعب أن نرد جزءا من الف منه فأن محاربة بعض أيام عنيفة لم تكن شيئا يذكر فى جانب تعطفهما » وكانت هذه الرسائل الامبراطورية تخجلنا وتجعلنا نخاف ان لا نقوم بالواجب حتى نستحقها لان محبتهما لاحد لها ومن المحقق أن أرواح الامناء الواسل الذين ماتوا فى المواقع ذرفوا دموع شكر عند سماعهم هذه الرسائل اللطيفة وبعد ما جاءت الرسائل الامبراطورية كنا نشعر جميعا بقوة داخلية فى نفوسنا فلا التلول الحادة جدا ولا القلاع المنيعة الموجودة أمامنا ولا العدو الباسل الذى يدافع عنها يمكنها أن تقاومنا بل يجب عليها أن تسلم الى الرغبة المخلصة المتشوقة الى راحة أفئدة جلالتهما المنزعجة